

تفسير ابن كثير

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا

وقوله : (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا) [و] هذه من

صفات المؤمنين (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا

وعلى ربهم يتوكلون) [الأنفال : 2] ، بخلاف الكافر ، فإنه إذا سمع كلام الله لا

يؤثر فيه ولا يقصر عما كان عليه ، بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله ،

كما قال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين

آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى

رجسهم) [التوبة : 124 - 125] . فقوله : (لم يخروا عليها صمًا وعميانًا) أي : بخلاف

الكافر الذي ذكر بآيات ربه ، فاستمر على حاله ، كأن لم يسمعها أصم أعمى . قال مجاهد

: قوله : (لم يخروا عليها صمًا وعميانًا) لم يسمعوا : ولم يبصروا ، ولم يفقهوا شيئًا . وقال

الحسن البصري : كم من رجل يقرأها ويخر عليها أصم أعمى . وقال قتادة : قوله تعالى : (

والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا) يقول : لم يصموا عن الحق

ولم يعموا فيه ، فهم - والله - قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتابه .وقال ابن

أبي حاتم : حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن حمران ، حدثنا ابن عون قال :

سألت الشعبي قلت : الرجل يرى القوم سجودا ولم يسمع ما سجدوا ، أيسجد معهم؟ قال :

فتلا هذه الآية : (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) يعني : أنه

لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر آية السجدة فلا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة ، بل يكون على

بصيرة من أمره ، ويقين واضح بين .